

Research Africa Reviews Vol. 1 No. 2 pp.44-50, September 2017

These reviews may be found on the RA Review website at: <https://sites.duke.edu/researchafrica/ra-reviews/volume-1-issue-2-september-2017/>

مجلة البحثية تنهي عامها الثالث

"رحلة نحو تجديد المدركات الجماعية العربية"

سعيد خالد الحسن / أستاذ دكتور جامعة محمد الخامس، الرباط

s.elhassan@um5s.net.ma

الصفحات التالية مخصّصة أساساً لعرض محتويات العدد السادس من مجلة البحثية التي يصدرها مركز الدراسات في مؤسسة خالد الحسن (مرتان في العام) وذلك بالتعاون مع فريق الدراسات السياسية في جامعة محمد الخامس بالرباط.. وسنمهد لعرضنا بالقاء نظرة خاطفة على محاور الأعداد الأربعة الأولى من البحثية ولكن دون - وذلك لدواعي الإختصار- التطرق لموضوعات المقالات التي تضمنتها تلك المحاور؛ ثم نعرض لعناوين مقالات محاور البحثية في العدد الخامس ليتبيّن القارئ السياق الذي طبع تلون الاهتمامات العلمية لمجلة البحثية قبل أن نشرع بعرض تلوينات اهتمامات مقالات عددها السادس وأفكارها الرئيسة ودلالات ذلك في ضوء التوجه الفكري الذي لازم البحثية منذ صدورها قبل ثلاث سنوات خاصة وأنها على أعتاب مرحلة جديدة قد تعرف صدور العدد السابع من البحثية وقد أصبحت منضوية في أنشطة كرسي تستضيفه جامعة محمد الخامس بالرباط - تحت مظلة اتحاد جامعات العالم الإسلامي- ويُعنى بالحضارة الإسلامية والمشارك الإنساني.



كان إصدار مجلة البحثية علامة على رحلة أكاديمية انطلقت سنة 2014 من المغرب: ومن حقل العلوم السياسية: بغية تأسيس مدرسة تؤثت لناظم فكري يعمل على صعيد إحياء المدركات الجماعية العربية.. ويُقصد بـ المدركات الجماعية تلك المنظومة المعنوية المفاهيمية التي توجّه وتميّر السلوك الإنساني في المجتمعات البشرية، وتنتقل بالسلوك من الصعيد الفردي الخاص، ومن بعده اليومي والزمني المحدود، إلى الصعيد الجماعي العام، وإلى البعد التاريخي المطلق المتوجّه من ماضي الجماعة المجتمعية إلى مستقبلها؛ وبما يشكّل ناظماً سلوكياً للعلاقات الاجتماعية وللوظيفة الحضارية للجماعة المجتمعية ولوجودها السياسي- وبالخصوص عندما نعتبر السياسة فعلاً رسالياً يقوم في أساسه على رؤية مجتمعية حضارية.. إنّ منظومة المدركات الجماعية هي بمثابة قواعد لها صفة الإلزام المعنوي التي تفرض احترامها لدى أفراد الجماعة؛ وهي محصّلة تاريخية حضارية للخبرة والحياة الجماعية الممتدة عبر أجيال امتداداً يتولّد عنه: مفاهيم مرجعية؛ وقيمٌ حياتية؛ وتقاليد مسلكية ومؤسسية مُعبّرة عن هذه المفاهيم والقيم¹.

وتسعى تلك الرحلة الأكاديمية التي أشرنا إليها آنفاً إلى ربط حقل العلوم السياسية بغيره من حقول ما يُدرّس في كليات العلوم الإنسانية والاجتماعية سواءً بالجامعات المغربية أم غيرها من الجامعات المعنية.. وكان إصدار البحثية أحد ركائز قامت بها واستمرت عليها تلك الرحلة جنباً إلى جنب كلٍّ من: فريق الدراسات السياسية بجامعة محمد الخامس الذي يشرف (منذ

2009م) على تدريس تكوين الماجستير والدكتوراة في مجال العلوم السياسية في كلية سلا للعلوم القانونية والإقتصادية والاجتماعية في جامعة محمد الخامس بالرباط؛ وكذلك المؤتمر السنوي معاً للباحثين (مؤتمر العلوم الإنسانية والاجتماعية للباحثين الشباب وطلبة الدراسات العليا)²؛ ثم الحلقات النقاشية الدورية التي ينظمها مركز الدراسات والأبحاث في مؤسسة خالد الحسن (بالعاصمة المغربية الرباط).. وحيث تقوم البحثية بنشر الأوراق البحثية المُحكّمة التي ترد إليها من المنضويين في تكوينات الدراسات العليا بالجامعة المغربية أو من المشاركين بمؤتمر معاً للباحثين وذلك فضلاً عن قيام البحثية بتوثيق عدد من مداخلات الأساتذة والباحثين الذين تستضيفهم الحلقات النقاشية..



يُلاحظ في مقالات الإصدار الأول- الذي جمع العديدين الأول والثاني- من البحثية أنها اندرجت في حقل العلوم السياسية فتوزعت اهتماماتها على الفكر السياسي والقضايا المغاربية والافريقية وفقه السياسة الدولية وشؤون الصراع العربي الصهيوني والأمن القومي العربي.. ويُلاحظ أنّ هُمّ البحثية على صعيد إحياء المدركات الجماعية العربية: قد برز جلياً في مُجمل مقالات المحور الفكري الثالث.. ففي أولها سعى محمد الطويل إلى استجلاء المنظومة القيمية المضمرّة في الفكر الليبرالي، بينما عرض إسماعيل حمودي في ثنائها لمشروع الفيلسوف المصري عبد الوهاب المسيري، وفي ثالثها تناولت مونية بنزيان جهود المفكر القبطي رفيق حبيب في إحياء منظومة القيم العربية الإسلامية. وأيضاً عرف العدد الثالث (ربيع 2015) هذا الإهتمام عبر أسلوب تناوله لموضوعات الملف الذي خصّصه لدراسة حراك الربيع العربي: بواعثه ورؤاه وتمثّلاته وقضاياه وتداعياته- وقد تضمّن هذا العدد مقالة في حقل القضاء الإداري وأخرى في حقل الإدارة العمومية بإعتبارهما حقلان يتم تدريسهما في كليات الحقوق بالجامعات المغربية ضمن مقررات شُعب القانون العام وجنباً إلى جنب علم السياسة الذي يكاد- كما كان عليه حال النظام الفرنسي القديم- يبدو دخيلاً على هذه الشُعب.. أمّا العدد الرابع (خريف سنة 2015) فإنه- وبإستثناء محورٍ حول تداعيات ثقافة الداخل وسياسات الخارج على أمن الإقليم العربي- قد خُصّص لتناول مفهوم المدركات الجماعية وللنظر على ضوءه في قضايا المستقبل العربي (التحرّر من التبعية ومن التجزئة وهدر الإمكانيات؛ ومشكلات الإستبداد وتفوّل الدولة؛ وتجديد المدركات على وقع صراع النخب)..

والواقع أنّ ذلك الناظم الفكري الذي تؤثت له مدرسة إحياء المدركات الجماعية بدا من جهة، أكثر وضوحاً في الإصدارين الأخيرين- الخامس والسادس- من البحثية.. كما أنّ هذا الناظم أخذ من جهة ثانية، يتصل بحقولٍ أخرى في مجال العلوم الإنسانية والاجتماعية كاللغة والأدب العربيين والتصوّف الإسلامي والفقه والفلسفة السياسية والاجتماع والإقتصاد، وذلك باتساع المجال الذي يرتاده المنضويون في تلك الرحلة من الأساتذة والباحثين الشباب سواءً منهم المغاربة أم غيرهم في الأمصار العربية والإفريقية والآسيوية الأخرى من المعنيين بالتأسيس الفكري لحركة نهوض وتزكية مجتمعية وحضارية في بلدانهم.



لقد خصّص العدد الخامس (ربيع 2016) ملفاً حول القدس والتحرر الفلسطيني. وتصدّر الملف دراسةً (كتبها ياسين طلعاوي) قدّمت مناقشة فقهية مستفيضة وهادئةً تتحفّظ عبرها على فتاوي العلامة الشيخ القرضاوي حول شدّ الرحال إلى القدس الشريف.. وقد تلا هذه الدراسة مقالات ثلاث، أولها قدّم قراءة (بقلم عبد الحكيم كريم) لموقف الفاتيكان تجاه عروبة القدس، والأخرى أمّعن (خالد بن سكا) النظر عبرها في خلفيات اتفاق أوسلو والطريق المسدود الذي انتهى إليه الصراع الفلسطيني الإسرائيلي، والثالثة (بقلم لمياء العمراني) إستشرفت مآل هاجس حلم إزرائيل الكبرى لدى المشروع الصهيوني.

غير أنّ الجديد في موضوعات العدد الخامس جاء من وضوح وبروز الإهتمام (عبر أربعة محاور) بمجالات الأدب والتصوّف والتاريخ وقضايا التجديد والتكامل المعرفي والمدينة والعمران؛ وذلك على حساب مجال العلوم السياسية (محورين إثنين في مجال الاستراتيجية والأمن، وآخر تعلق بمجالات الإجتماع والحكامة والإقتصاد).. وهو إهتمام يُظهر تنامي حضور قضايا إحياء وتجديد المدركات في تناول موضوعاته: محورٌ حول التجديد والتكامل المعرفي عرف مقالة عن تجديد المدركات في تركيا بلد

كاتبها (ابراهيم أكتاش) ، وأخرى- كتبها محمد منديل- حول شُعب الدراسات الإسلامية بالجامعة المغربية أظهرت وجود اتفاق بين شباب الباحثين والشيخوخ من اساتذتهم على شروط الارتقاء بالتدريس فيها وأن عراقيل تفعيل تلك الشروط تعود أساساً لعوائق بيروقراطية: محورٌ حول المدينة والعمران الاسلامي سُلطت فيه الضوء عبر مقالة (كتبها حسن بريح) أبرزت حضور فقه العمران والمعمار في الحضارة الاسلامية ومحوريتها في تأثيث فضاء اجتماع الناس واحتضان معاملتهم وعيشهم المشترك، وعرضت المقالة كتاب *عمارة الأرض في الإسلام* لمؤلفه المعماري البنغالي جميل عبد القادر أكبر³؛ فضلاً عن اضاءات (بقلم عبد الحق مستور) عن المدينة الاسلامية ومنظومة مدرستها وقيم الحياة فيها؛ وفي محور حول الأدب والتصوف ضمّ مقالات ثلاث: مقالة (كتبها لطيفة الهيثي) حول خصائص خطاب التصوف الأندلسي لدى قُطبه معي الدين ابن عربي؛ وأخرتان احدهما (كتبها حسن الغندوري) وتناولت شعر الهجاء الأندلسي، والأخرى (كتبها هاجر البوخاري) وقدّمت مقارنة بين أبرز موسوعتين للأدب العربي كانتا قد ظهرتا في القرن الثالث الهجري أبهى عصور ازدهاره العباسية والأندلسية .. الأولى هي *الأغاني للأصفهاني*، والأخرى هي *العقد الفريد* لإبن عبد البر الأندلسي.. وقد خلّصت مقالات هذا المحور إلى أنه إن كان تُمثل أصالة الثقافة العربية الأندلسية لأصول المدرجات الجماعية العربية هو في الأندلس أكثر ربما من تمثّل توأمه المشرقي لها، واتّصاف أدباء الأندلس بحياء جعلهم يُحجّمون عن الإغراق في ألوان الهجاء الذي عرفه الأدب المشرقي؛ فإنّ ذلك لا يحجب واقع وحدة ثقافية تجمع متأدبي ومتصوّفي المغرب بالمشرق العربيين.

أيضا عرف هذا العدد محورا للدراسات التاريخية ضمّ ثلاث مقالات: إحداها (كتبها صابرين سليمان) تسلط الضوء على المجاهد الافريقي الكبير دان فودي وعلى إعلائه لدوره كمعلم في متابعة مشروعه الاصلاحى- وعلى حساب دوره كبانٍ لمملكة وكرجل دولة.. ثم أخرى (كتبها إسماعيل حمودي) حول خلفيات إمتناع الأمير محمد عبد الكريم الخطابي عن دخول مدينة *مليبية* المغربية وتحريرها ؛ وثالثة (بقلم زكريا سحنون) تلقي الضوء على أسباب تحقّق المفكر والزعيم المغربي علال الفاسي على *محادثات إيكس لبيان مع الفرنسيين عشية الإستقلال المغربي*.

أمّا مقالات المحورين الأخيرين، فما تعلّق بالإجتماع الإنساني فتناولته مقالة حول القبيلة والجيش والنخب السياسية الموريتانية (كتبها محمد المختار ولد الحسن) ؛ بينما تناولت مقالة أخرى الحكامة المالية في الدولة المغربية (كتبها منتصر السويني). أما ما تعلّق بمجالات الاستراتيجية والأمن: فقد بيّنت مقالاته التحديات والدوائر والاكراهات التي تواجه دول النظام الاقليمي العربي سواءً تعلّق الأمر: بالمغرب (عبر مقالة بقلم عبد العالي الحور وأخرى كتبها منعم أمشاوي)؛ أم بغيره من دول النظام العربي (وذلك أيضاً في ذات مقالة محمد المختار ولد الحسن السابق ذكرها)؛ أو بدول جواره الافريقي في جنوب الصحراء (عبر مقالة الحسن تراوري)- ناهيك بمقالة حول النظرة الشرعية للإرهاب الإلكتروني (بقلم رشيد لعلامة).. وقد تُوجّ هذين المحورين بمقالة مُعمّقة (كتبها هشام لحصيني) في فقه العلاقات والصراع الدوليين، وقدّمت مقالته رؤية حضارية تريد التحرر من الاستلاب الأكاديمي المهيمن على رؤية المشهد الدولي سواءً تعلّق الأمر بالامبريالية الاقتصادية أم بالتطبيعية المعرفية..



أما العدد السادس والأخير (خريف 2016) من *البحثية*، فقد وثّق وعرض لبحوث وأنشطة الدورة السنوية الخامسة (مارس 2016) من مؤتمر *معا*.. وقد شارك المؤرخ والمفكر المصري طارق البشري كضيف شرف في المؤتمر وألقى محاضراته الافتتاحية التي تحدّث خلالها عن مفهوم *المدرجات الجماعية* الذي رأى أنه يتكامل في واقع الأمر مع مفهوم *التيار الأساسي* الذي تعرفه كتاباته⁴؛ غير أن مفهوم *التيار الأساسي* لا يعرض للنسق المعرفي العام للجماعة المجتمعية بقدر ما يتناول المواقف الراهنة للأبرز من التيارات الفكرية والاجتماعية والسياسية في الجماعة المجتمعية - وهو ما يبيّن (في نظرنا) أهمية تكامل هذين المصطلحين حيث يتناول كل منهما قطاعا تاريخيا ومجالا مفاهيميا له خصوصيته بالنسبة للآخر.. "التيار الأساسي" يعنى بالموقف والرؤى في الزمن الراهن؛ والمدرجات الجماعية نسق معرفي ينظم نماذج السلوك القارّة التي تميز الجماعة المجتمعية منذ نشأتها وتطبع بذلك أجيالها المتطاولة حتى الزمن الحاضر.

كما وثق العدد لكلمة المديرية المساعدة للإيسيسكو (أمينة الحجري) في جلسة مؤتمر معاً الافتتاحية ، وكذلك لكلمة الوزيرة المغربية المنتدبة لدى وزارة التعليم العالي والبحث العلمي وتكوين الأطر (جميلة المصلي) التي عرضت فيها معالم البرنامج الحكومي ومخططة الاستراتيجي للنهوض بالبحث العلمي سواء ما تعلق بالارتقاء بظرفية الطالب عبر الرفع من قيمة المنح وعدد المستفيدين منها ورفع الطاقة الاستيعابية للأحياء الجامعية وتعميم التغطية الصحية للطلبة، أو ما اتصل بتعميق البحث والتكوين بإرساء الوكالة الوطنية لتقييم جودة التعليم والبحث العلمي ناهيك بإصلاح نظام الدكتوراه واعتماد مراكزها بدائل عن وحدات التكوين والبحث.. كذلك عرفت الجلسة الختامية كلمة لمستشار رئيس الحكومة (خالد الصمدي) تناول فيها مشاريع الإصلاح في مجال التربية والتعليم بالمغرب الراهن.

وقد توزعت بحوث العدد السادس تحت أربعة عناوين رئيسة أولها دار حول مفهوم المدركات الجماعية والمقصود بإحيائها وتجديدها.. واشتملت على أربعة بحوث تناولت أدبيات خمسة من كبار المفكرين في الإقليم العربي وعالميه الإسلامي والثالثي: تناول أولها بالبحث كتابات الفيلسوف المصري عبد الوهاب المسيري وعرض فيه عمر الصنهاجي لدور المسيري في احياء النسق المعرفي الإسلامي؛ وثاني البحوث تناول بالدراسة الرئيس البوسني السابق علي عزت بيجوفيتش حيث قامت صفاء البوعزاوي بعرض رؤيته لذات النسق المعرفي؛ وفي ثالث مباحث هذا العنوان تناول حمزة المعروفي إحياء قيمة الكرامة لدى مفكرين عربيين مغربيين هما الفيلسوف والأكاديمي المغربي محمد عزيز الحبابي والمفكر الجزائري مالك ابن نبي اللذين ربطا من جهة، بين كرامة الانسان وانضوائه في جماعته المجتمعية، ومن جهة أخرى حذراً من المخاطر التي تهمد الكرامة من القوى الباغية من خارج الجماعة.. وفي مقالة خامسة عرض عبد الحكيم امهاوش وجمال كريم لكتاب الفيلسوف الهندي أمارتييا صن عن الهوية والعنف لينتهي إلى عدم الاكتفاء بتبني تحذير أمارتييا من مخاطر تولد العنف نتيجة الإنغلاق على الهوية، لأنهما رأيا الإنغلاق وحده لا يولد العنف عادة إلا عند ارتباطه بمتغيرات أخرى.

ثم تناول العنوان الثاني مذاهب تجديد المدركات الجماعية في الخطاب الفكري العربي المعاصر.. وفي هذا السياق تناول صلاح الدين عياش المشروع الإصلاحي لطارق البشري الذي يعتبر الإصلاح معالجة للمشاكل والتحديات التي يثيرها واقع الجماعة وظرفها التاريخي، ويجعل من احياء مفاهيم التراث والنظر فيها تجديداً وتأصيلاً للخبرة للحضارية منطلقاً لا بد منه ليتفعل الإصلاح. ثم تناول يوسف تجرونة نموذج الرشد لدى الأكاديمي الجزائري محمد بابا عمي وهو نموذج يربط معرفياً الرشد بالوحي، كما يجعل من الرشد نموذجاً يحاكي نموذج الفطرية لدى المغربي فريد الأنصاري. كما تناول خالد بن سكا مشروع أسلمة المعرفة لدى كل من الفاروقي والعطاس، وانتهى إلى استحالة أسلمة المعرفة إلا برؤية معرفية تستحضر منظومة الاسلام المعرفية بنظرتها للإنسان والكون والحياة.. ثم تناول محمد أقديم تجديد المدركات الجماعية لدى محمد عابد الجابري فرأى أن اسهاماته حاولت تجديد الخطاب الفكري العربي المعاصر وعملت على الرقي بـ المدركات الجماعية العربية بالإرتكاز على بنية العقل العربي ومقارنتها مع العقل الغربي والأثيني.. وقد أختتمت مباحث هذا العنوان بمقالة لعبد القادر العزى عالج بدوره رؤية عبد الوهاب المسيري للحضارة الغربية ورصدها طابعاً إقصائياً مادياً لدى هذه الحضارة وخرج منها بضرورة التجاوز معرفياً ومن ثم عملياً لهذا لطابع المادي الإقصائي.

أما العنوان الثالث فقد جاء ليتناول عددا من القيم والمفاهيم التي يتم عبرها تجديد المدركات الجماعية للمجتمع العربي والحضارة الإسلامية.. ومن هنا جاء تناول خالد شخمان لإحياء مفهوم التعبد وتجديده لدى طه عبد الرحمان من أجل أن لا يكون تعبداً للذات أو تعبداً شكلياً لا روح فيه؛ وتناولت مقالتي كل من الزهرة الصنهاجي وصابرين السليمانني تجديد المدركات وقيمة الحرية على وجه الخصوص لدى علال الفاسي وبيننا أن قيمة الحرية شكّلت منطلقاً لرؤيته الإسلامية عندما رأى الحرية الحقّة توأماً لا ينفصم عن المرجعية التوحيدية. كما تناول عماد بورروز تجديد مفهوم القيادة لدى خالد الحسن الذي يرى في القيادة قيمة تراثية تتطلب ممارسة الصدق مع الشعب بما يحقق في إطار العدالة ما هو ممكن واقعيّاً من مصالح الناس وغايتهم المجتمعية.. بينما تناولت أسماء المهديوي الرؤية التجديدية لمفهوم النقابية لدى المفكر جمال البنا الذي أقام نقابية إسلامية على أساس من الرؤية القرآنية للعدل من جهة، ومن تبني القرآن والسنة مفهوماً لـ العمل يربطه أساساً بالصلاح وليس- بالضرورة- بعمل يدوي أو بأجر نقدي (أو مقابل مادي).. بينما قدّم صالح وشنان قراءة لرؤية العالم الفقيه طه العلواني الذي رأى

مبدء حرية الاعتقاد في الإسلام مبدءٌ يُعمل المبدأ القرآني لا إكراه في الدين قبل الدخول في الإسلام وبعد الدخول فيه، لأنه حماية للمؤمنين وتبرئة للإسلام من الذين يدعون التدين تحت الإكراه أو خوفاً من العقاب..

وجاءت مقالة مولاي رشيد الغلابي تتغيب أن تحدد مرتكزات الوحدة والقوة في قيام النسق الاجتماعي في أمة الإسلام فرأت أنها مرتكزات تنبني على روابط المحبة والولاية في الله، والنصيحة والمشورة، والطاعة في المعروف.. وهي مرتكزات قدمها غلابي عبر تمثّل معنوي ثري في تفكّره ونظره في آيات القرآن الكريم والسنة النبوية والتراث الإسلامي: ناهيك أنه تمثّل ضروري لعملية إحياء المدرجات وتجديدها عندما يتكامل والتمثّل الواقعي لهذه المدرجات وهي تنزل على الواقع القائم المعاش.. ومن هنا- في نظرنا- أهمية تعزيز التمثّل المعنوي بتوأمه الواقعي ليتأتى لمرتكزات وحدة الجماعة أن تنتظم "اجتماعها الإنساني" وتعيش ناسها وتساكنهم معاً في موطنهم المشترك: إذ أن الطاعة مثلاً لا تتفعل بين مجتمعات متباعدة عن بعضها البعض تباعد أقطار الأرض ومختلفة بالتالي في قضاياها ومشكلاتها ناهيك بأن يكون التساكن والتجاور والتواصل متحققاً بينها.. ولعلّه ليس أدل على ضرورة استكمال جناح التمثّل المعنوي بجناح التمثّل الواقعي: من النظر في صحيفة المدينة والتي تمثّلت تأساكن جماعة المؤمنين مع غيرهم في مدينة الرسول (ص)- والمسلمون بمسيس الحاجة اليوم (كما الأمس) إلى النظر بجناحي هذا التمثّل كليهما: فقد صنع الإسلام من أمة المسلمين مجتمعات يرى المسلمون أن الإسلام قد أُلّف بعقيدة الإسلام وهديه بين ناسها (معنوياً) وإن اختلفت (معاشاً) في أسنّها ومواطنها ومشكلاتها وقضايا اجتماعها..

وقد اختتمت مقالة حسناء سيف مقالات المجموعة الثالثة هذه حول القيم والمفاهيم التي يتم عبرها تجديد المدرجات الجماعية للمجتمع العربي والحضارة الإسلامية، وقد سلّطت مقالها الضوء على مفهوم المسؤولية كمبدء ناظم لفلسفة العمارة الإسلامية وبنائها لدى جميل عبد القادر أكبر الذي انتهى إلى أن قواعد فقه العمارة الإسلامية قد وُحّدت المسؤولية في يد الجماعة فكانت القرارات تصدر من أسفل إلى أعلى عكس البيئة الحداثية المعاصرة. كذلك فإن المبادئ المتعلقة بالإحياء والوراثة والهبة والشّفعة: كلها تنحى نحو توحيد المسؤولية.. ومن هنا فقد رأى جميل أكبر أن أحد العوامل الرئيسة في تدهور حال المسلمين خلال الحقب الأخيرة من تاريخها إنما يكمن في انزلاق المسلمين باتجاه تشتيت المسؤولية.

وجاء عنوان المجموعة الرابعة من مباحث هذا العدد السادس ليتناول بعضاً من أبرز قضايا المستقبل العربي في ضوء المدرجات الجماعية العربية. وكانت أولى بحوث هذا العنوان مقالة إبراهيم مرداني عن العروبة والإسلام وقضية الوحدة، وقد انتهى إلى أن المغاربة لم يعرفوا العروبة مُنفصلة عن الإسلام البتة وأنه لا يمكن تعريف العروبة لديهم إلا من خلال الإسلام وليس بمعزل عنه.. ثم جاءت مقالة السعيد ابن سعيد لتتناول مركزية قضية فلسطين بين رؤيتين إحداهما نظامية إفتراضية وغير فاعلة والأخرى واقعية مجتمعية واعدة. كما عرف هذا العنوان مقالة حول الخبرة التاريخية المغربية الراهنة لمفهوم العمل الاجتماعي كتبها علي ربيعي وخلص منها إلى أن العالم العربي والإسلامي بحاجة اليوم إلى تجديد مدرجاته المتعلقة بوظيفة الإحسان ومأسستها لتشمل صيغاً معاصرة تهتم بشؤونهم، وتعالج مختلف قضاياها المجتمعية. ثم كان الختام بمقاليتين حول التعليم بالمغرب توجّس رشيد الأركو في أولاهما من سمة الأدلجة التي تطبع وظيفة المدرسة المغربية: بينما حذرت جلييلة مباركي في أخراهما من استبدال التدريس بالفرنسية بتدريس الفرنسية لما يشكله هذا من تهديد للوعاء اللغوي للمدرجات الجماعية لأمة المغاربة.



وفي ختام هذا العرض تجدر ملاحظة أنّ الناظم الفكري في مدرسة إحياء المدرجات يُنظر، أولاً، في الواقع العربي الراهن ويراه مُتخناً بعوامل التجزئة والفرقة والتخلف المعنوي والمادي ناهيك بالتبعية للخارج المتربص بالثروات وبمُقومات القوة العربية.. ويضع نصب عينه، ثانياً، غياب الرؤية الهادية الجامعة التي جعلت الربيع العربي يتيم التوجّه غامض التوجّه.. ويرصد، ثالثاً، تداعيات ذلك اليمّ والغموض الذي مكّن لشيوع منظومات فكرية هي أشبه بالكوابيس منها برؤى التغيير النهضوية التجديدية التي يحملها عادةً أهل التغيير في مواطن التغيير المأمول.. ويؤكد، رابعاً، أن التغيير ليس إكراهاً يتحقّق

بالطلائع العابرة للحدود: كانت مُسلّحة مقاتلة؛ أم مُحَمَّلَة تارةً بجميل الخطاب المُنتَشِح بالتراث والمُقلِّع تارةً أخرى بمعسول الخطاب الوافد من قوى الطغيان الدولي والإنتهاز الإقليمي.. ويخلص، خامساً، إلى أن تجاوز ما يعيشه الإقليم العربي من إرتباك ومن غياب للرؤية الواضحة امام القيادات والنخب، إنما يكون بتفعيل دور /المدرّكات الجماعية كمنطلق لتلمّس الطريق نحو رؤية صحيحة ابتداءً، ثم رسم موجّهات الحركة في أفق معالجة وتزكية الواقع المشهود إلى ما هو منشود ومأمول. وأن تغيير الواقع العربي لا يكون إلا بتجديد الخطاب العربي تجديداً يَنظُر في مدرّكاته الجماعية لِيُجِدّد ثوابتها الصحيحة المتأصّلة في مدرّكات الناس.. كما يلاحظ هذا الناظم الفكري، سادساً، أنّ توالي الأزمات والإخفاقات العربية قد عمِلَ على تشويه وتسميم /المدرّكات العربية مما أعاق تجديدها وحال دون تفعيلها في الواقع المعاش للمجتمع العربي الإسلامي.. وأن عمق تلك الأزمات إنما يزيد من غياب مفهوم /المدرّكات الجماعية على مستوى الخطاب الذي تتبناه النخب العربية. ومن ثمّ، انتهى هذا الناظم، سابعاً، إلى أن وعي النخب بأبعاد عملية تجديد مدرّكاتها الجماعية معنوياً وعملياً وسياسياً كفيل بالتأسيس لوعي حقيقي بقضاياها المصرية، وبالتالي انتهاز مسارات قادرة على تحرير المجتمع العربي من الطغيان الخارجي والداخلي بما يحقق وحدته وكرامته وصون مصالحه ومناعته في مواجهة التحديات الداخلية والخارجية.

لذا، كان تجديد المدرّكات الجماعية هو مرتكز عملية إحياء المدرّكات الجماعية، وحيث تجديد المدرّكات لا يكون بالعمل على تجاوزها أو إحداث قطيعة معها أو محاولة تغييرها كما قد يذهب إلى ذلك البعض من دعاة القطع مع الماضي، بل النظر فيها وإحيائها عبر العودة إلى الخبرة الحضارية للجماعة المجتمعية.. ويجد هذا الطرح مبرره، أولاً، في واقع أن المدرّكات الجماعية هي حصيلة خبرة مديدة عبر التاريخ تجعلها متجذرة في التقاليد الحضارية والنماذج السلوكية السائدة في أوساط الجماعة المجتمعية ناهيك بذكرتها الجماعية. وثانها أن التجديد في النسق المعرفي للحضارة الإسلامية يختلف عنه في النسق الراهن للحضارة الغربية.. إنّ مدرسة إحياء المدرّكات الجماعية ترى أن التجديد في النسق الغربي هو تحديثٌ يفتقد إلى ضوابط واضحة تنظم العلاقة بين الثوابت والمتغيرات ومن ثمّ فهو تحديثٌ يكاد يقوم على قطيعة بين الماضي والحاضر، في حين أن التجديد في النسق الحضاري العربي الإسلامي ينطلق من كونه عودة إلى الأصول قصد إحيائها في واقع الناس مع تقويم الاختلالات التي تبرز على مستوى التمثيلات الواقعية والمعنوية لواقع الأمة وتراثها المعنوي.. وحيث مفهوم المدرّكات الجماعية لدى هذه المدرسة يقوم على رؤية معرفية للسنن والنواميس التي تحكم حركة الناس من الماضي إلى المستقبل⁵.

الهوامش

¹ رَسْعِيدُ خَالِدِ الْحَسَنِ: المدرّكات الجماعية مدخل نظرية القيم (الطبعة الأولى: دار الأمان & مؤسسة خالد الحسن، 2015)

² حتى إبريل 2017 كانت قد عُقدت سِتُّ دوراتٍ سنوية من مؤتمرٍ معاً للباحثين. وقد عرّفت هذه الدورات مشاركة باحثين و مُلْتَمَذَة من كَثْرٍ من ثمان جامعات مغربية توزّعت على العديد من كليات الآداب والعلوم الإنسانية وكليات العلوم القانونية والإقتصادية والإجتماعية؛ وذلك فضلاً عن مشاركين قدموا من جامعات من خارج المغرب (مصر وفلسطين وموريتانيا والجزائر وألانيا). وجرّاه لُؤء المشاركون من الباحثين المغاربة بينما ينتمي بعضهم إلى بلدان أخرى عربية (الأردن، تونس، الجزائر، العراق، سلطنة عُمان، فلسطين، قطر، مصر، موريتانيا) وإفريقيّة (بهاحل العاج والسفلى) وليبوية (اندونيسيا، تركيا، ماليزيا)، وكذلك منهم من قديم من أُلّانيا وكندا والولايات المتحدة الأمريكية. وقد قام مركز الدراسات والأبحاث في مؤسسة خالد الحسن بتنظيم الدورات السنوية الست لهذا المؤتمر في فصل الربيع بالعاصمة المغربية الرباط.

³ رَجْمِيلُ عَبْدِ الْقَادِرِ لُؤء: عمارة الأرض في الإسلام (جدة: دار القبلة للثقافة الإسلامية، بيروت: مؤسسة علوم القرآن، 412 هـ / 1992م)

⁴ رِ طَارِقُ الْبَشْوِي: نحو تيار أساسي للأمة (الدوحة: مركز الجزيرة للدراسات، 1، 2008م)

⁵ رَسْعِيدُ خَالِدِ الْحَسَنِ م س ذ.

Research Africa

Copyright © 2017 by Research Africa, (research_africa-editor@duke.edu), all rights reserved. RA allows for copy and redistribution of the material in any medium or format, provided that full and accurate credit is given to the author/reviewer, the date of publication, and the location of the review on the RA website. You may not distribute the modified material. RA reserves the right to withdraw permission for republication of individual reviews at any time and for any specific case. For any other proposed uses, contact RA's Editor-in-Chief. The opinions represented in the reviews and published on the RA Review website are not necessarily those held by RA and its Review editorial team.